وحينما يتكلم الحق سبحانه وتعالى عن الأمور التى تحدث للكفار من عذاب عظيم فى جهنم ، فسبحانه لا يريد بهذا الحديث أن يجعل مأواهم النار ، لكنه يخوفهم ويرهبهم من الكفر ويدعوهم إلى الإيمان ، ويحضهم على ألا يكونوا كافرين حتى لا يحشروا فى جهنم .

ويقول الحق تبارك وتعالى بعد ذلك :

﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

وهذه الآية الكريمة تكشف لنا أن المعارك التى تنشأ بين الإسلام وأتباعه من جهة ، وبين خصوم الإسلام وأتباعهم من جهة أخرى : هذه المعارك إنما هى أمر مراد من الله تعالى : لأن الزلزلة التى تحدث ، حتى لمن آمن ، إنما هى تصفية لعنصر الإيمان ، ومثال ذلك ما حدث فى الإسراء ، حيث وجدنا من كان إيمانه ضعيفاً يتساءل : أمعقول أن يذهب محمد إلى بيت المقدس فى ليلة ؟! بينما نجد ثابت الإيمان مثل الصديق أبى بكر يقول : إن كان قد قال فقد صدق . إن الثابت والقوى إيمانه يصدق ، أما من لم يثبت إيمانه فهو يكذب . وهكذا كانت أحداث الإسلام ، فقد جاءت كلها لتميز الخبيث من الطيب ، وتجمع الخبيث بعضه إلى بعض ليصير ركاماً ثم يضعهم الله فى النار .

لقد جاءت أحداث الإسلام للتمحيص ، مثلما تضع الحديد فى النار لتستخرج منه الخبث ويصير صافياً ، وهكذا جاء الإسلام لتصفو به قلوب المؤمنين ، ويقوى إيمانهم ؛ لأنهم يحملون رسالة الله تعالى إلى الأرض كلها ، بعد أن مروا بالتصفيات الكثيرة .

ومثل هذه التصفيات تحدث فى المجال الرياضى ، فحملة الأثقال - على سبيل المثال - يدخلون فى مباريات أولية ، ومن يستطيع حمل الوزن الأثقل هو الذى يكون مؤهلا لأن يدخل المباريات الدولية ، ليبقى الأقوى .

﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

(من الآية ٣٧ سورة الأنفال)

والحق سبحانه وتعالى أعطانا أمثالاً لأحداث تميز الخبيث من الطيب ، فالناس فى الأحوال العادية الرتيبة لا تظهر معادن نفوسهم ؛ لأن الناس إذا كانوا آمنين لا يواجهون ؛ خطراً ، ادعوا الشجاعة و الكرم والشهامة ، وادَّعوا الإيمان القوى المستعد لأى تضحية فى سبيل الله ، فإذا جاءت الأحداث فهى الاختبار الحقيقى لما فى القلوب . فقد يقول إنسان لصديقه : أنا ومالى لك . وإذا ما أصابت هذا الصديق كارثة ، يتهرب منه . فما الذى يحدد - إذن - صدق الحديث عن النفس ؟ إنها الأحداث . وهكذا أراد الله تعالى أن يميز الخبيث من الطيب فعركت المؤمنين الحوادث ، وزال الطلاء عن ذوى العقيدة الهشة ؛ ليكون الناس شهداء على أنفسهم ، ويبقى المؤمنون أصحاب صفاء القلب والعقيدة . وحين يميز الله الخبيث من الطيب ، فهو سبحانه وتعالى : يريد تمييز الطيب حتى لا يختلط بالخبيث .والخبيث إنما يكون على ألوان مختلفة وأنواع متعددة ، فهذا خبيث فى ناحية ، وذلك خبيث فى ناحية أخرى ، وثالث خبيث فى ناحية ثالثة ،وغيرهم فى ناحية رابعة ،وخامسة إلى ماشاء الله ، ويجمع الله كل الخبيث فيركمه فى النار جميعاً .

ثم يقول الحق تبارك وتعالى بعد ذلك :

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨ ﴾

و" قل " أمر من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ، ومادام قد وجد أمر ، فلابد من وجود المبلغ للأمر ، أى أن هناك مخاطِباً ومخاطَباً ، والمخاطِب هنا هو الله سبحانه ، والمخاطَب هو رسول الله صلى الله عليه وسلّم ؛ لأن الله تعالى قال له : " قل " ، والبلاغ المطلوب منه إبلاغه للناس هو ما يتضمنه قول المولى سبحانه :

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾

(من الآية ٣٨ سورة الأنفال)

أى إن انتهوا عن الكفر غفرت لهم ذنوبهم التى ارتكبوها أيام كفرهم ، ونلاحظ هنا اختلافاً فى أسلوب الكلام لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يخاطب الكافرين كان الذى يفرضه السياق أن يقول لهم : إن تنتهوا يغفر لكم ؛ لأن الخطاب لابد أن ينسجم مع المخاطب ، وعادة عندما توجه الخطاب لشخص تكون هناك « لام التوجيه » ، تقول : وجهت الخطاب لفلان ، وتخاطبه بشكل مباشر ، ولكن الله يقول هنا لرسوله صلى الله عليه وسلم :

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم ﴾

(من الآية ٣٨ سورة الأنفال)

وكان سياق الكلام يقتضى القول : إن تنتهوا يغفر لكم ، ولكن الله سبحانه وتعالى عدل عن إن تنتهوا إلى " إن ينتهوا " ، والكلام مخاطب به الكفار ، والكفار حاضرون فكيف يخاطبهم بصيغة الغائب ؟

لقد أراد الله تعالى أن يأتى الخطاب ليعم كل متكلم يقال له هذا الكلام من أى مؤمن ، فكأنه قد عمم الخطاب ليقطع المعاذير . ومثل ذلك مثل قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِ ﴾

(من الآية ١١ سورة الأحقاف)

وإذا أخذنا ذات المقياس لكان الكلام يقتضى أن يقال : لو كان خيراً ما سبقتمونا إليه ، ولأن هذه العبارة قيلت من أكثر من كافر فى أماكن متعددة للمؤمنين ، وأراد الله سبحانه وتعالى : أن يلفتنا لذلك ، فعمم الخطاب حتى يشمل جميع الحالات ولا ينطبق على حالة واحدة فقط ، بل ينطبق على كل حالة مماثلة ؛ لذلك قال سبحانه :

﴿ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾

(من الآية ٣٨ سورة الأنفال)

وهذا يدلنا على أنهم إن انتهوا عن مقاومة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنادهم معه فهو سبحانه وتعالى يغفر لهم ، لأن العناد والمقاومة ناشئان عن الكفر ، فإن انتهوا عنهما ، صاروا مؤمنين . والإسلام يَجُبُّ ما قبله .

ولذلك عندما أعلن محارب عن إيمانه واعتنق الإسلام وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم دخل المعركة فاستشهد صار شهيدا ؛ لأنه قد غُفر له بشهادة الإسلام كل ذنوبه التى حدثت منه أثناء الكفر ، وهى الذنوب التى تتعلق بحقوق الله تعالى ، أما ما يتعلق بحقوق الناس ، فعلى ورثته أن يؤدوها عنه .

ثم يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾

(من الآية ٣٨ سورة الأنفال)

وقوله هنا : « وإن يعودوا » أراد به الله أن يعلمنا أن تجرى هذه الكلمة على اللسان ، فإن عادوا مرة أخرى إلى الكفر والعناد ، يطردوا من رحمة الله ومغفرته ، إذن فشرط الغفران لهم أن يستمروا فى إيمانهم وألا يعودوا للكفر مرة أخرى ، وقوله تعالى : ﴿ فقدمضت سنة الأولين ﴾ .

والسنة هى الطريقة أو الكيفية أو الحالة التى يكونون عليها ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا ﴾

(من الآية ٦٢ سورة الأحزاب)

أى الطريقة التى اختارها الله لمعالجة الأمور بالحق والعدل ، ومعنى قوله تعالى : ﴿ مضت سنة الأولين ﴾ :

أى الطريقة التى عرفتموها وعالج بها الله عز وجل أمر من عاند الرسل ووقف منهم موقف المنازعة والمعارضة . ومثل ذلك حدث للكفار فى بدر ، فكأن من يقف أمام دعوة الله ومنهجه لا بد أن يتعرض للهلاك كما حدث مع كل من قاوم الأنبياء ، فأنتم تعرفون ما صنعه الله بقوم هود وقوم عاد وقوم ثمود وقوم فرعون . ومر كل ذلك عليكم ، كسنة عامة تشمل كل من قاوم الأنبياء ووقف فى طريق دعوتهم إلى الله .

والخطاب هنا إما أن يكون خطاباً لهم على حالهم فى وطنهم وما حدث للمخالفين فى بدر وقد رأوا مصارعهم ، وإما أن يكون الخطاب مبيناً لسنة الله تعالى وقد شاءت سنته سبحانه إبادة كل مخالف لسنته .

ثم يقول الحق تبارك وتعالى بعد ذلك :

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

وهذا أمر من الله عز وجل بالقتال، والقتال مفاعلة تحدث بين اثنين أو أكثر ، أى اشتباك بين مقاتل ومقاتل . ولذلك عندما تسمع كلمة "قتال" يتبادر إلى ذهنك وجود طرفين اثنين وليس طرفاً واحدا ، أو بين فريق وفريق آخر .

وعندما يقول الحق سبحانه وتعالى : « وقاتلوهم » نفهم أن هذا أمر للمؤمنين ليقاتلوا الكفار ، ولابد أن يكون الكفار قد فعلوا شيئا يستحق أن يقُاتلوا عليه ، أو أنهم يبيتون للمؤمنين القتال وعلى المؤمنين أن يواجهوهم ويقاتلوهم . ولم يقل الله سبحانه وتعالى : اقتلوهم بل قال : « قاتلوهم » ؛ أى مواجهة فيها مفاعلة القتال . والتفاعل معناه أن الحدث لا يأتى من طرف واحد بل لابد من مقابل معه . فأنت تقول : "قابلت" أى أنك قابلت شخصاً ، وهو قابلك أيضاً ، وهذه مفاعلة . أو تقول : "شاركت" أى أنك اشتركت أنت وآخر فى عمل ما . وهنا قال الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾

(من الآية ٣٩ سورة الأنفال)

ومعنى ذلك أن هناك قتالاً يؤدى للقتال . وجاء القتال ليحسم الأمر ؛ لأن ترك هؤلاء الكفار يعتدون على المسلمين ، ويأخذون أموالهم بالباطل ، فيرى الناس المؤمنين أذلة مستضعفين ، والكفار عالين أقوياء فتحدث فتنة فى الدين ، أى يفتن الناس فى دينهم وهم يرون الذل دون أى محاولة أو تحرك لدفعه .

ويريد الله سبحانه وتعالى أن تنتهى الفتنة . والفتنة هى الاختبار . وكما قلنا : إن الاختبار ليس مذموماً لذاته ، ولكنه يُذم بنتيجته . فإن رسب الطالب فى الاختبار تكون نتيجة الاختبار مذمومة . وإن نجح تكون محمودة . ولقد كان كفار قريش يفتنون الناس فى دينهم بتعذيبهم تعذيباً شديداً حتى تخور قواهم ويخضعوا لأحكامهم . وأراد الله سبحانه وتعالى أن يضع نهاية لهذا الظلم . فأذن بقتالهم ؛ لأنهم هم الذين فعلوا ما يستوجب قتالهم .

ونجد قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾

(من الآية ٣٩ سورة الأنفال)

بينما نجد أنه قد ذكر فى سورة البقرة بدون "كله" ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى فيها : ﴿ ويكون الدين لله ﴾

دون أن تذكر كلمة "كله" ولكل آية لقطة ومعنى ؛ لأن كل لفظ فى القرآن له معنى ، فقوله تعالى : ﴿ ويكون الدين كله لله ﴾

يعنى أنه لا يجب أن يجتمع دينان فى جزيرة العرب وقد حدث . وأما قوله تعالى : ﴿ الدين لله ﴾

فقد أعطتنا لقطة أخرى ، فالأولى تخص العرب والجزيرة العربية ، والثانية تعنى أن الإسلام للعالم كله ، ويقول الحق سبحانه وتعالى فى الآية التى نحن بصددها :

﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

(من الآية ٣٩ سورة الأنفال)

وقوله تعالى : « فإن انتهوا » أى استجابوا وأطاعوا ، وقوله تعالى : « فإن الله بما يعملون بصير » أى فليحذروا أن يتم هذا خداعاً لأن الله بصير بهم ،

ومطلع عليهم ، وماداموا قد انتقلوا من حظيرة الكفر إلى حظيرة الإيمان فالله يمحو سيئاتهم ويبدلها حسنات ؛ لأن قوما عاشوا على الكفر وألفوا خصاله ثم تركوا ذلك إلى الإيمان فهذا أمر صعب يحتاج إلى جهاد شديد مع النفس ، فيثيبهم الله تعالى بقدر مجاهدتهم لأنفسهم ، ويثيبهم المولى سبحانه وتعالى بسخاء .وهناك معنى ثان فى قوله تعالى :

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

(من الآية ٣٩ سورة الأنفال)

أى : فيا من وقفتم موقف العداء من الإيمان ، وتعرضتم للكافرين التعرض الذى أعاد لهم التهذيب وحسن التعامل مع المؤمنين ، اعلموا أنه سبحانه وتعالى بصير بما عملتم ليكون الدين كله لله .

وهكذا نرى أن كلا من المعنيين يكمل الآخر .

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾

والله سبحانه وتعالى يرغب الناس حتى يؤمنوا ، ولكنه فى ذات الوقت يبين لهم أن كثرة عدد المؤمنين ليست هى التى تعلى راية الإسلام وتصنع النصر للإيمان ، فيقول سبحانه : ﴿ وإن تولوا ﴾ .

وهنا شبهة فى أن الله تعالى يحنن هؤلاء على أن يؤمنوا ، وأن يسلموا ، وأن يعودوا إلى حظيرة الحق ، وربما ظن ظان أن الإسلام يريد أن يقوى بهم ، ولذلك قال الحق : ﴿وإن تولوا ﴾ أى إياكم أن يفت ذلك فى عضدكم ، أو أن يقلل هذا الأمر من همتكم وشجاعتكم ؛ لأنكم إنما تنتصرون بمدد من الله

العلى القدير ، فهم إن لم يؤمنوا ، فاعلموا أن الإسلام لا ينتصر بهم ، وانتشاره ليس بكثرة المسلمين أو قلتهم ؛ لأن النصر من عند الله ، وسبحانه ليس محتاجاً لخلقه ، وكثرة جنود الإسلام لا تصنع النصر ؛ لأن نصر الله للمسلمين إن اتبعوا منهجه يتحقق سواء قلوا أم كثروا . ولذلك يلفت نظرهم وينبههم إلى أنه إن تولى هؤلاء ولم يؤمنوا ، فإياكم أن يؤثر ذلك على شجاعتكم ؛ لأنكم لا تنتصرون بمدد من هؤلاء الذين رفضوا الإيمان ، ولكن بمدد من الله سبحانه وتعالى ، فالله هو مولاكم . وإذا كان الله مولى لكم أى ناصراً ومؤيداً فهو سبحانه وتعالى :

﴿ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾

(من الآية ٤٠ سورة الأنفال)

لماذا ؟ .

لأن المولى إذا كان غير الله فهو من الأغيار ، قد يكون اليوم قوياً قادراً على أن يأخذ بيدنا وينصرنا ، ولكنه قد يموت غداً ؛ لذلك فهو لا يصلح مولى . وقد يسقط عنه سلطانه وقوته ويصبح ضعيفاً محتاجاً لمن ينصره فلا ينفع وليا ولا معيناً لأحد . والمولى الحق الذى يجب أن نتمسك به هو الذى لا تصيبه الأغيار لأنه دائم الوجود لا ينتهى بالموت وهو دائم القوة والقدرة لا يضعف أبداً ، هذا هو المولى الذى تضع فيه ثقتك وتتوكل عليه . ولذلك نجد الحق سبحانه وتعالى يوضح لنا أننا يجب ألا نضع ثقتنا وأملنا إلا فيه وتوكلنا إلا عليه سبحانه وتعالى فيقول :

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾

(من الآية ٥٨ سورة الفرقان)

أى إذا أردت فعلاً أن تتوكل ، فتوكل على من هو موجود دائما قوى دائماً ،

فتوكل على الله . وقوله تعالى : ﴿ نعم المولى ﴾ يؤكد أن الله قوى قادر دائم الوجود ، وقوله تعالى : ﴿ ونعم النصير ﴾ .

يؤكد أنه سبحانه وتعالى محيط بكل ما يدبره لك أعداؤك ، فلا يغيب عنه شيء . أنت تحاربهم بما تعرفه من الحيل وفنون القتال وهم يفعلون ذلك . ولكن الله سبحانه وتعالى يعلم حيلهم فيبطلها ، ويحقق لكم النصر بأن يلهمكم من الحيل ما لا يستطيعون مواجهته . ، يعطيكم مددا من السماء وهذا المدد هو الذى يحقق لكم النصر .

ويتحدث الحق سبحانه وتعالى بعد ذلك عن الغنائم فيقول :

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾

ما سبب ذكر الغنيمة هنا ؟ . وما المناسبة ؟ .ونقول : إن الله سبحانه وتعالى يتحدث عن القتال . ونهاية كل معركة ينتصر فيها المسلمون يكون فيها غنائم .

وهذه مناسبة الحديث عن الغنائم ، وبما أن الله سبحانه وتعالى يتحدث عن مدده للمؤمنين . وأنه ناصرهم ، وأنه نعم النصير ، ولكن الغنائم لا تجيء إلا نتيجة للنصر ، فكأن الله يريد من المؤمنين أن يتأكدوا أن النصر سيكون من نصيبهم ؛ بدليل أن الحديث انتقل إلى الغنائم . والغنيمة هى كل منقول يأخذه المسلم المقاتل من الكافر ، والثابت أن الغنائم لم تكن تحل لأحد من الأنبياء قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويقول الحق :

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ﴾

(من الآية ٤١ سورة الأنفال)

إذن فلله الخمس وتبقى أربعة أخماس توزع على المقاتلين . والخمس الذى هو لله كيف نقسمه ؟

لقد ذكر القرآن أسلوب توزيع هذا الخمس بطريقة اختلف فيها العلماء ؛ فالآية تقول :

﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴾

(من الآية ٤١ سورة الأنفال)

ثم تزيد :

﴿ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾

(من الآية ٤١ سورة الأنفال)

وقد قال بعض العلماء تمسكاً بظاهر الآية الكريمة : إن خمس الغنائم يوزع على من سماهم الله تعالى فى كتابه العزيز وهم ستة : (الله ، الرسول ، ذو القربى ، اليتامى ، المساكين ، ابن السبيل) فتكون الأسهم ستة ، وجمهور العلماء على أنّ خمس الغنائم يقسم خمسة أسهم فيكون لله وللرسول سهم واحد لأنه لا يوجد فصل بين الله ورسوله ، والأسهم الأربعة الباقية من هذا الخمس توزع على الأنواع الأربعة (ذى القربى - اليتامى - المساكين - ابن السبيل) لكل نوع منهم سهم .

واختلفوا أيضاً فى معنى ﴿ ولذى القربى ﴾ هل هم القربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم أم ممن ؟

ثم بعد ذلك جاء نصيب اليتامى والمساكين وابن السبيل فلم يحدث خلاف فيه - والخلاصة : أن الغنائم كلها تقسم خمسة أقسام خمسها لهؤلاء الخمسة وأربعة أخماسها الباقية للجيش المقاتل ؛ لأن الله تعالى بين حكم الخمس وسكت عن الباقي فدل ذلك على أنه للغانمين ثم يقول الحق :

﴿ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ ﴾

(من الآية ٤١ سورة الأنفال)

وهم بطبيعة الحال مؤمنون بالله ، وكأن هذا القول جاء ليراجعوا إيمانهم إذا اعترضوا على هذا التقسيم . فإن طمع أحد منهم فى الخمس الذى هو لله ورسوله ولم يقنع بأربعة الأخماس المقسمة - كما قال الله تعالى - يكون قد خدش إيمانه بمن أصدر هذا الأمر ، وسبحانه هو الذى أنزل هذا التقسيم . فمن زاغ وتطلعت عينه إلى شىء فليرد هذا الزيغ ؛ لأن الذى قسم هو الله الذى نصر المقاتلين . وإذا كان النصر هو الذى جاء بالغنائم ، فالذى أعطى النصر هو الله سبحانه وتعالى ، والنصر سبب من الله ، وما يوهب للإنسان من الحق ، على العبد أن يقبل فيه قسمة الله .

ومثال ذلك ما أراده الله للإنسان المسلم من حسن التصرف فى ماله ، فهو فى حياته حر ويملك حق التصرف فى هذا المال ، واحتراماً لمشاعرك الاجتماعية والإنسانية والعاطفية فى البيئة التى تحيا فيها ، جعل الله لك الحق فى الوصية بأن تخصص ثلث مالك لما تريد ومن تريد ، فقد ترى أن هناك إنساناً من غير أقربائك وهو بطبيعة الحال لن يرثك ، ولكنه خدمك فى حياتك أو فى مرضك أو فى شيخوختك ، وأنت تريد أن تترك شيئاً من ثروتك له ، اعترافاً بجميله ، أو لعل هناك أناساً من معارفك تعرف أنهم أحوج من أبنائك ، فتخصص لهم بعضاً من المال ، شرط ألا يتعدى الثلث ، فيشاء الحق سبحانه وتعالى أن يضع للعواطف الإيمانية الإنسانية فى الناس مجالاً ،

فترك لك الحرية فى أن تتصرف فى ثلث التركة ثم قسم الله سبحانه الثلثين على الورثة .

إذن فقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ إن كنتم آمنتم بالله ﴾

(من الآية ٤١ سورة الأنفال)

أى أنه سبحانه قد جعل من الإيمان أن يتم توزيع الغنائم بالشكل الذى حدده الله عز وجل ، ثم يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ﴾

(من الآية ٤١ سورة الأنفال)

والفرقان هو الشيء الذى يفرق بين الحق والباطل ؛ فرقاً واضحاً بشدة بحيث يكون ظاهراً للجميع . وقد أطلق الله الفرقان على القرآن الكريم فى سورة آل عمران فيقول تبارك وتعالى :

﴿ وأنزل التوراة والإنجيل ۝ من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ﴾

(من الآيتين ٣ ، ٤ سورة آل عمران)

فحينما أنزل الله تعالى التوراة والإنجيل جاءت التوراة لتفرق بين الحق والباطل ، وأيضاً جاء الإنجيل ليفرق بين الحق والباطل ، وشاء الله سبحانه وتعالى ألا تطلق كلمة " الفرقان " إلا على القرآن الكريم ؛ لأن القرآن هو الفارق النهائى الذى لن يأتى فارق من بعده ، فلن ينزل كتاب سماوى آخر .

﴿ وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان ﴾

(من الآية ٤١ سورة الأنفال)

الله سبحانه وتعالى يقصد هنا بيوم الفرقان يوم بدر الذى كان فرقاً بين حق وباطل ؛ فرقاً لافتا للأنظار ، وقد أخذت كلمة الفرقان المعنى العام وهو أن يفرق

بين الحق والباطل ، فالمسلمون كانوا قلة والكفار كانوا كثرة ، والمسلمون كانوا خارجين للاستيلاء على القافلة والعير ولم يكن لديهم أى عدة أو عتاد للحرب ، بينما استعد الكفار للحرب والقتال بالعدد والعتاد والفرسان ، وكان المسلمون يتمنون أن تكون قافلة قريش لهم ، وهى قافلة لا يحرسها إلا عدد قليل من الرجال ، لا شوكة لهم ، وأراد الحق تبارك وتعالى أن يواجه المسلمون وهم قلة جيشاً له شوكة أى له عدة وعتاد ؛ لأن المسلمين ظنوا أن الاستيلاء على القافلة لن يستغرق منهم وقتا طويلا أو جهداً كبيراً ، فحراس القافلة عدد محدود وبلا سلاح قوى. لكنِ شاء الله عز وجل أن يخوض المؤمنون المعركة وهم قلة وأن ينتصروا ، حتى يعلم الجميع أن هذه القلة المؤمنة انتصرت بلا عدد ولا عُدَّة على من يملكون العدد والعدة ، وبذلك يظهر الفرق بين الإيمانْ والكفر ، وبين نصر الله وزيف الشيطان ، ولو استولى المسلمون على قافلة قريش لقيل : إن أية مجموعة من المسلحين كانت تستطيع أن تنهب هذه القافلة ، ولذلك لم يعطهم الله العير ، بل ابتلاهم بالنفير وهو الجيش الخارج من مكة بقصد الحرب وهو مستعد لها ليلفت النظر إلى هؤلاء المؤمنين الذين خرجوا بغير قصد الحرب وقد انتصروا على الكفار الذين خرجوا للحرب واستعدوا لها. وكان المؤمنون ثلاثمائة وجيش الكفار ألفاً ، فإذا جاء النصر ، تأكد الكل أن كفة المؤمنين قد رجحت ، وإذا تعجب أحد كيف ينتصر هذا العدد القليل غير المسلح على هذا العدد الكثير والمسلح ، يمكن أن يرددوا قول الله تعالى :



(من الآية ٤١ سورة الأنفال)

وهذه المشيئة الإلهية هى التى قلبت الموازين.

وفى أول سورة البقرة يحكى الحق سبحانه وتعالى لنا قصة طالوت وجالوت ، ويروى كيف طلب بنو إسرائيل من نبى لهم أن تحدد السماء شخصاً

يكون ملكاً عليهم، ليقودهم فى معركة ضد طاغية اسمه جالوت؛ أخرجهم من ديارهم وشردهم، فلما جاء الأمر بأن يكون طالوت هو الملك، جادل بنو إسرائيل فى قيادته لهم.

﴿ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ﴾

(من الآية ٢٤٧ سورة البقرة)

كانوا هم الذين طلبوا أن يكون لهم ملك، فلما جاء طالوت باختيار الله اعترضوا عليه. ثم خرج طالوت مع الذين اتبعوه وابتلاهم الله بنهر وهم عطاش، ويقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾

(من الآية ٢٤٩ سورة البقرة)

وابتلاهم الله سبحانه وتعالى بأن مروا على نهر وهم عطاش، وطلب منهم ألا يشربوا إلا أن يأخذ كل منهم قليلاً من الماء فى كف يده ليرطب به فمه، فلما وصلوا إلى النهر، اندفعت أغلبيتهم ليعبوا ويشربوا ما شاء لهم، والأقلية فقط هى التى امتثلت لأمر الله تعالى ولم تشرب، وهؤلاء هم الذين بقوا مع طالوت وعبروا النهر، لكنهم حين رأوا جيش الأعداء، قالت أغلبيتهم ما جاء فى القرآن الكريم وحكاه لنا :

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴾

(من الآية ٢٤٩ سورة البقرة)

أى أنهم خافوا من مواجهة جيش جالوت ورفضوا القتال، إلا الأقلية منهم، وهكذا حدثت لهم التصفية مرتين بالاختيار والابتلاء؛ الأولى بالصبر على العطش، والثانية بمواجهة جيش العدو، وهذه هى الأقلية الصافية التى رسخ إيمانها، وقالوا ما جاء بالقرآن الكريم :

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

(من الآية ٢٤٩ سورة البقرة)

أى أن هذه الفئة المؤمنة التى بقيت والتى تخشى حساب الله فى الآخرة لم تخفهم قلتهم ولا كثرة جنود جالوت، بل قالوا : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، وانتصروا بالفعل، وكان هذا فرقاناً ظاهراً من الله عز وجل .

وهنا يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ ﴾

(من الآية ٤١ سورة الأنفال)

أى يوم التقاء جمع المؤمنين وجمع الكفار، وتحقق نصر المؤمنين، رغم قلة العدد والعتاد. ولذلك يذيل الحق سبحانه وتعالى الآية بالقول الكريم :

﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾

(من الآية ٤١ سورة الأنفال)

أى أن الله عز وجل قادر على أن ينصر المؤمنين وهم قلة وغير مستعدين للقتال.

ويقول الحق تبارك وتعالى بعد ذلك :

﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ
وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ
فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا
لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ
وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾

ساعة تسمع « إذ » تعرف أنها ظرف ، ومعناها : اذكر هذا الوقت ، اذكر إذ أنتم بالعدوة الدنيا ، والعدوة شاطىء الوادي وجانبه . وهى جبل مرتفع ؛ لأن الجبال إن كان بينها فضاء نسمى هذا الفضاء وادياً ، فيكون الوادى هو الفضاء بين جبلين ، ويكون المكان العالى الذى على يمين الوادى وعلى شماله عدوة.

وقوله تعالى :

﴿ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ ﴾

(من الآية ٤٢ سورة الأنفال)

توضيح وبيان لجغرافية المعركة ، وأهل الإسلام كانوا من ناحية المدينة ، وقوله تعالى : « دنيا » تأنيث الأدنى أى الأقرب ، فالمسلمون كانوا قريبين من المدينة. وكان الكفار قادمين من مكة ، ونزلوا فى المكان الأبعد.

فقوله تعالى :

﴿ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا ﴾

(من الآية ٤٢ سورة الأنفال)

أى فى مكان قريب، وموقع غزوة بدر - كما نعلم - قريب من المدينة، أما كفار قريش فقد جاءوا من مكة. وبذلك جاءوا من مكان بعيد عن المدينة لذلك سماه الحق تبارك وتعالى هنا :

﴿ بالعدوة القصوى ﴾ أى فى المكان البعيد عن مكة، ويتابع المولى سبحانه وتعالى قوله : ﴿ والركب أسفل منكم ﴾

والركب هو العير أى الجمال التى تحمل التجارة، وكان المسلمون قد خرجوا ليأخذوها. ولما عرف أبو سفيان بذلك غيّر سير القافلة واتجه إلى ساحل البحر، ويتكلم الحق سبحانه وتعالى عن سلوك أبى سفيان حينما أمر أن تسير القوافل بجانب ساحل البحر. وساحل البحر - كما هو معلوم - يكون دائماً أسفل من أى أرض يابسة. ويتُخذ سطح البحر إلى الآن مقياساً للارتفاعات والانخفاضات بالنسبة للمقاييس البشرية، فيقال : هذا ارتفاعه مائة متر أو مائتا متر أو أكثر أو أقل بالنسبة لمستوى سطح البحر. وساحل البحر بالنسبة لسطح البحر متساو، أما الأرض والجبال والوديان فهى تختلف فى العلو والانخفاض فلا تصلح مقياساً للارتفاعات والانخفاضات، بينما سطح البحر مستطرق استطراقاً سليماً، بحيث لا توجد فى سطح الماء بقعة عالية وأخرى منخفضة.

وهكذا يلفتنا الحق سبحانه وتعالى إلى أن أسفل ما فى الأرض هو ساحل البحر وقد اتخذ الناس سطح البحر مقياساً للارتفاعات.

ويقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾

(من الآية ٤٢ سورة الأنفال)

أى لو أن المؤمنين اتفقوا مع الكفار على موعد ومكان، لجاء بعضهم متأخراً عن الموعد أو منحرفاً عن المكان، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذى حدد موعد المعركة ومكانها بدقة تامة فتم اللقاء فى الموعد والمكان المحددين ليتم الأمر كما قدره الله سبحانه وتعالى، والأمر هو معركة بدر، وليلقى المؤمنون الكافرين، لينتصروا عليهم.

﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾

(من الآية ٤٢ سورة الأنفال)

وهل يعنى قول الحق ﴿ ليهلك من هلك ﴾ أن الهلاك هنا هو الموت ؟ لقد مات أيضاً بعض المؤمنين واستشهدوا. وقول الحق : ﴿ ويحيى من حىّ ﴾ وهل الحياة هنا تعنى مجرد البقاء على قيد الدنيا ؟. لقد عاش أيضاً من الكفار كثير رغم أنهم خاضوا معركة بدر. إذن فليس معنى الهلاك هنا الموت، وليس معنى الحياة النجاة، ولكن قول الحق : ﴿ ليهلك من هلك عن بيّنة ﴾ تنطبق على الكفار سواء الذين ماتوا أو الذين نجوا ؛ لأن الهلاك هنا هلاك معنوى، فمن قتل من الكفار هلك. ومن نجا هلك أيضاً ؛ لأنه بقتاله المؤمنين قد أورد نفسه مورد التهلكة بالعذاب الذى ينتظره فى الآخرة، إلا إذا أدركته رحمة الله وآمن قبل أن يأتى أجله. والذين حيوا هم المؤمنون، والمراد - إذن - ليكفر من كفر، ويؤمن من آمن عن يقين.

ولقد قلنا من قبل : إنّ الحق سبحانه وتعالى أطلق الحياة على معان متعددة، فهناك الحياة التى فيها الحركة والحس، وهذه تتحقق ساعة أن تدخل الروح الجسد ليكون للإنسان حياة. وهذه الحياة هى للمؤمن والكافر. ولكن الحياة بهذا الشكل ؛ حياة منتهية إلى موت غير موقوت ننتظره فى أى لحظة. ولكن الحياة المطلوبة لله هى الحياة التى لا يأتى فيها موت. ولا يكون فيها تعب وشقاء، تلك هى الحياة الآخرة، ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾

(من الآية ٦٤ سورة العنكبوت)

أى أنها الحياة الحقيقية . إذن فالذى يؤمن إيماناً حقيقيا يعطيه الله تعالى حياة الخلود فى الجنة. ولذلك نستمع جميعاً إلى قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

(من الآية ٢٤ سورة الأنفال)

ومنا من يتساءل : كيف يخاطب الله الناس وهم أحياء ويقول لهم : إذا دعاكم لما يحييكم ؟ ونقول : إن الحق سبحانه وتعالى يريد لنا بالإيمان حياة خالدة فى الجنة . ثم يختم الحق سبحانه وتعالى الآية الكريمة بقوله :

﴿ وإن الله لسميع عليم ﴾

ومعنى سميع وعليم أنه سبحانه وتعالى مدرك لكل الأشياء والخواطر، فما بالسمع يسمعه، وما بالعين يراه، وما فى الصدر يعلمه، وما هو فى أى حس من أحاسيس الإنسان هو عليم به ؛ لأنه أحاط بكل شىء علما .

ووسائل الإدراك العلمى فى الإنسان هى السمع والبصر والذوق واللمس والشم، هذه هى الحواس الخمس التى تعطى العلم للإنسان الذى لم يكن يعلم شيئاً .

وهو سبحانه وتعالى القائل :

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

(سورة النحل)

أى أن هذه الحواس هى التى تعطى الإنسان ما لم يكن قد علمه، وكلما علم شيئاً، فليقل : الحمد لله .

ويعلمنا الله سبحانه وتعالى كيف يتم قدره فيقول :

﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾

والحق سبحانه وتعالى إذا أراد معركة فاصلة ، يجعل الخواطر فى كل قوم مهيجة على الحرب ؛ لأنه سبحانه وتعالى يريد للفئتين أن يشتبكوا ، ويفصل الحق فى المسألة، وهذا الاشتباك لو حدث بالمقاييس العادية ربما جَبُنَتْ الفئة القليلة عن أن تواجه الفئة الكثيرة. ولكى تتم المعركة لابد أن يكون كل من الفريقين المتحاربين واثقا من النصر ؛ لأنه لو أيقن أحدهما أنه سيهزم لما دخل إلى المعركة.

والله سبحانه وتعالى يُعلم رسوله والمؤمنين كيف أعد الله الإعداد النفسى للمعركة ، فأرى النبى فى الرؤيا أن عدد الكفار قليل حتى يؤمن أن المؤمنين سينتصرون عليهم بسهولة ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه رؤيا توضح أن عدد الكفار قليل فى أعين المؤمنين ، وأخبر قومه بذلك ، ولقد قلل الله عدد الكفار فى أعين المؤمنين، وقلل عدد المؤمنين فى أعين الكفار، ليتم اللقاء وتحدث المعركة.

وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾

إذن رأى المؤمنون الكفار قليلاً، ورأى الكفار المؤمنين قليلاً، ولو كثّر الله الكفار فى أعين المؤمنين، أو كثّر المؤمنين فى أعين الكفار ما حدثت المعركة. ولكنه سبحانه وتعالى شاء أن يقلل كل فريق فى نظر الآخر ليبدأ القتال، ويحكى سيدنا عبدالله بن مسعود :

لقد قلت لجار لى أظنهم سبعين، فقال : لا بل مائة.

وهكذا كان عدد الكافرين قليلاً فى نظر المؤمنين، وكان عدد المؤمنين بالفعل قليلاً فى عيون الكافرين.

وأيضاً شاء الحق سبحانه أن يجعل فى ذلك بلاغاً من إعلامات النبوة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد رأى النبى عدد الكافرين فى المنام وهم قليل، وأخبر صلى الله عليه وسلم قومه بذلك. ودار القتال الذى أراده الله تعالى :

﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾

(من الآية ٤٤ سورة الأنفال)

والأمر الحاسم هو التقاء الفئتين المتقاتلتين فى معركة بدر ليفصل الله بين الحق والباطل، وبين الإيمان والكفر؛ حتى ترجع الأمور إلى الله، فلكل واحد من جنود المعركة جزاءٌ من عند الله سبحانه وتعالى؛ المؤمنون لهم جزاء على قدر نياتهم وإخلاصهم فى الجهاد، والكافرون عليهم غضب من الله تعالى. والغضب منازل، كل منزلة من الغضب حسب أحوال صاحبها.

وقول الحق سبحانه و تعالى : ﴿ وإلى الله ترجع الأمور ﴾ نجد فيه كلمة «الأمور» وهي جمع أمر، وفي المعارك ألوان مختلفة من الأوامر؛ فلكل جندي أمر، وهناك أمر عام تنتهي إليه المعارك وهو انتصار طرف وانهزام طرف آخر. ولكي يتم النصر للمؤمنين فإن الله يطلب منهم أن يثبتوا في المعركة؛ فيقول سبحانه وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

وساعة تسمع كلمة «فئة» فاعلم أن معناها جماعة اختصت بخوض المعارك في ميدان القتال، فليست مطلق جماعة، بل هي جماعة مترابطة من المقاتلين؛ لأن كل مقاتل يفيء لغيره من زملائه، أي جماعة أخرى غير مترابطة تستطيع تفريقهم بصرخة أو عصا، أما المقاتلون فأنت لا تصرفهم إلا بقوة أكبر منهم، ويحاول كل منهم أن يحمي زميله، إذن فكل منهم يفيء إلى الآخرين.

والحق تبارك يقول :

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

(من الآية ٢٤٩ سورة البقرة)

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾

(من الآية ١٣ سورة آل عمران)

إذن فالفئة هي جماعة في الحرب.